

## القديس افرايم السرياني

أفرايم السوري، أو أفرايم السرياني، أو أفرايم النصيبيني، أو أفرايم الراهوي، والملقب بـ"فيثارة الروح القدس"، هو أبرز آباء [الكنيسة الأرثوذكسية](#) الناطقين بالسريانية وأعظم شاعر كنسي في الأدب السرياني. ولد أفرايم حوالي عام 306 في مدينة نصيبيين من أعمال بلاد ما بين النهرين. لا نعلم شيئاً عن عائلته فالبعض يؤكد أنها كانت مسيحية والبعض الآخر يستبعد ذلك مؤكداً أن آباء كان كاهناً وثرياً وأن أفرايم اهتدى إلى المسيحية شاباً، وتلمنذ ليعقوب أسقف مدینته، فنهل من علمه وصحته.

رسمه يعقوب شماساً إنجيلياً، فأقام على شموسيته حياته كلها يعظ ويعلم ويرنم أروء الأناشيد وأطيب الشعر الديني. ترك نصيبيين بعد سقوطها في قبضة الفرس في العام 363 وسكن الرها (أوديساً باليونانية أو أورفه) إلى أن توفي [الله](#) عام 373، التي كانت مركزاً مسيحياً وثقافياً هاماً، إذ اجتمعت فيها الثقافتان اليونانية والسريانية. وفي الرها خدم الكنيسة شماساً وخطيباً يفسّر الكتاب المقدس، ولاهوتيّاً يحارب أصحاب البدع، وشاعراً ينظم الأناشيد الروحية، وناسكاً متوحداً حين تسعه له الفرصة. توفي أفرايم بعد أن أصيب باللوباء الذي فتك بأبناء منطقة الرها. تحفل الكنيسة بتذكره في الثامن والعشرين من كانون الثاني.



أهم مؤلفاته، من دون شك، هي الأناشيد والترانيم الروحية الكثيرة التي وضعها. وتصعب، في هذا المجال، الإحاطة بجميع آثار أفرايم وتبين الصحيح من المنسوب إليه. والجدير بالذكر أنَّ في السريانية نوعين من الشعر رئيسين: الميم والدراش. أمَّا الميم فهو منظومة تُقرأ ولا تُنشد، وتأتى أبياته على نمط واحد من التقطيع، وقد تصل أبيات الميم إلى ألف الأبيات، لذلك يمكن الميم أن يحمل مادة تعليمية متَوَعة. وأمَّا الدراش فهو منظومة تُنشد إنشاداً وأبياته معدودة. وقد برع أفرايم في النمطين معًا فكان، في ميامره ومداريشه، لسان العقيدة الأرثوذكسية.

ما ثبت لأفرام من القصائد والأناشيد ذكر: 65 مدرashaً "ضد الهرطقات" هاجم فيها المؤلف أضاليل المنجمين (ما زال أهل القرن الحادي والعشرين يتبعون تفليكتهم) وبعض الهرطقة؛ 78 نشيداً "في الإيمان" هاجم فيها الآريوسيين الذين أنكرواألوهة السيد المسيح، ومنها 51 نشيداً في الفردوس يتغنى فيها ببهاء السماء؛ 12 نشيداً "في الفطير" يحتفل فيها بالآلام [المسيح](#) وقيامته؛ 25 نشيداً "في الكنيسة" و15 نشيداً "في البتولية"، وغيرها في الصلب والصوم.

اشتهر القديس أفرام بصفته كاتب صلاة التوبة التي ترافقنا في كل صلوات [الصوم](#) الكبير، ولأهميةها نوردها كاملة:

"أيها رب وسيد حياتي، أعتقدني من روح البطلة والفضل، وحب الرئاسة والكلام البطال، وأنعم علي أنا عبده الخاطئ، بروح العفة واتضاع الفكر والصبر والمحبة. نعم يا ملكي وإلهي، هب لي أن أعرف ذنبي وعيوبني، وألا أدين إخوتي فإنك مبارك إلى الأبد، آمين".

وهذه الصلاة، بعد صلاة "أبانا"، هي صلاة نموذجية، إذ تجمل كل ما يمكن المؤمن أن يصلّي ويطلب إلى الله. وقد طلب القديس أفرام في وصيته: "ثلاثين يوماً بعد وفاتي تقدّمون [الذبيحة](#) المقدّسة من أجلي، لأنّ الأموات تقidiهم الذبائح التي يقدمها الأحياء". الفداس يجمع الأموات والأحياء، إذ لا أموات في المسيح. فبشفاعات القديس أفرام، الحي عنك، أيها رب يسوع ارحمنا وخلصنا.

لم تكن انشيد أفرام غنية بالصور الشعرية وحسب، بل كانت عميقه لا هوتها وعقائديا. فإنه يقول مثلاً إن الجنة رُدّت إلى البشرية في الكنيسة التي هي أكثر بهاء وأكثر جمالاً من جنة عدن، التي لم تكن سوى صورة عنها: "من جهة، زرع الله الجنة البهية، ومن جهة أخرى، بنى الكنيسة النقية". وأنشد أفرام للمسيح كونه آدم الجديد الذي أعاد فتح الفردوس، فائلًا: "تبارك الذي بصلبيه فتح الفردوس" و "تبارك الذي أبهج آدم"، وايضاً: "تبارك الذي أعتقدنا لنلا يؤسر مثله" و "تبارك الذي خلّصنا من الأسر"، وهو الفائل ايضاً: "مبارك من فتح بمقاليده جنة الحياة". تعيد له الكنيسة في الثامن والعشرين من شهر كانون الثاني.